

## الظنّ الفاسد في ضوء القرآن الكريم

خطورته، وكيفية اجتنابه.

دراسة موضوعية

The Corruptive conjecture in the light of the holy Quran,

Its seriousness and how to avoid it - An objective study.

غالية بن فليس \*

كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة 1

مخبر الانتماء: الفقه الحضاري ومقاصد الشريعة

ghaliabenfelis@gmail.com

تاريخ القبول: 2023-10-03

تاريخ الإرسال: 2023-09-18

ملخص:

تناولت هذه الدراسة موضوعا يتعلق بالظن الفاسد والمخاطر المترتبة عنه؛ ذلك لأن اتباع هذا النوع من الظن يقود صاحبه إلى مآزق الشكوك السيئة التي لا تستند إلى دليل راجح، وليس لها ما يبررها، وعليه انبنت الدراسة على محاور رئيسة هي: ضبط مفاهيم البحث الأساسية، ثم تحديد مجال الظن وأقسامه، وإبراز مخاطر الظن الفاسد والأسباب الباعثة عليه، وأهم السبل التي يمكن اعتمادها للتخلص منه.

الكلمات المفتاحية: ظنّ ؛ فساد؛ أسباب الظن؛ خطر الظن الفاسد؛ اجتناب الظن.

Abstract:

This study talks about the topic of corruptive conjecture and the risks associated with it, because following this type of conjecture leads the person to the dilemma of bad doubts that are not based on solid evidence and are unjustifiable. Therefore, the study was based on key axes ;controlling the basic research concepts, then identifying the field of conjecture and its sections , highlighting the risks of corruptive conjecture and the reasons behind it, and the most important ways that can be adopted to get rid of it.

**Keywords:** conjecture; corruption; reasons; its seriousness; avoid it.

حاولت هذه الدراسة أن تقارب ظاهرة سلوكية كثيراً ما تتسلط على عقل الإنسان وتوجه تفكيره واهتمامه الوجهة الخاطئة، وأعني بذلك الظن الفاسد الذي تمليه الأهواء وحظوظ النفس، فتدفع بصاحبها إلى أن يتجرأ على حدود الله، فضلاً عن التجرؤ على عباد الله، وعليه فإن السؤال الإشكالي الكبير الذي قامت عليه الدراسة يخص علاقة الدين كفاعل، بالمتدين كقابل يتلقى الدين ويُفترض أن ينقاد لتعاليمه ويلتزم بأحكامه، لا أن تكون العملية عكسية؛ بحيث يعمل المتدين المصاب بالظن الفاسد على أن يُخضع الدين لأهوائه وما تمليه تلك الأهواء من ظنون وهواجس فاسدة، قد تؤسس لظواهر سلوكية منحرفة وخطيرة تحاول - تعسفاً - أن تستمد مشروعيتها من الدين.

مدخل مفاهيمي.

أولاً: تعريف الظن لغة.

ظَنَّ، الظَّاءُ والنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يدلُّ على معنيين مختلفين: يَقِينٌ وَشَكٌّ. أما اليقين، فمثاله قوله تعالى: (( قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ )) [البقرة:249]؛ بمعنى يوقنون، ... والمعنى الآخر هو الشكُّ، تقول: ظننتُ الشيء إذا لم تتيقَّنه، ومن ذلك الظنُّ أي التهمة، والظنن المتهم، والظنون السيئ الظن<sup>1</sup>. وعند الجرجاني، الظنُّ هو الاعتقاد الرَّاجح مع احتمال النقيض، وقيل هو أحد طرفي الشكِّ بصفة الرجحان<sup>2</sup>. وفي المعجم الوسيط: ظنَّ الشيء ظنًّا علمه بغير يقين، وقد يأتي الظنُّ بمعنى اليقين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دط، دت)، كتاب الظاء، 3/462.463.

<sup>2</sup> - علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، (دط، 1985م)، باب الظاء، ص: 149.

<sup>3</sup> - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ج م ع، مكتبة الشروق الدولية، (ط4، 1425هـ/2004م)، ص: 578.

مما سبق، يظهر أنّ للفظ الظنّ معنيين متعاكسين؛ الشكّ واليقين، أمّا اليقين فهو العلم الذي أيدته الحجج والبراهين الدامغة فلا تقوّل فيه، ووجب الأخذ به دون اعتراض، أمّا الظنّ الذي يفيد معنى الشكّ المتأرجح بين الصلاح والفساد، ثمّ تميل النفس توهُما وشهوة إلى الظنّ الفاسد بدوافع نفسية، فهذا هو موضوع البحث.

ثانياً: تعريفه اصطلاحاً.

عند أبي حامد الغزالي (ت505هـ)، الظنّ هو ما تَرَكَنَ إليه النفس، ويميل إليه القلب<sup>1</sup>.

وعند ابن عطية (ت542هـ) الظنّ: ميلُ النَّفسِ إلى أحدِ معتقدين متخالفين، دون أن يكون المائل بحجةٍ ولا بُرْهانٍ<sup>2</sup>.

فالظنّ هو ما تميل إليه النفس دونما تقييد أو تخصيص؛ من حيث الصحة والبطلان وقيام الدليل والحجّة على ذلك.

ووجه وصف الظنّ بالفساد<sup>3</sup>، كونه خرج عن حدود الاعتدال والاستقامة، ثمّ اتباعه من دون وجه حقّ.

1. مجال الظنّ وأقسامه.

يُدرس موضوع الظنّ في مجال العقيدة، كما يدرس في مجال العلاقات والروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم، ومنه يمكن أن نميز بين نوعين أو قسمين من الظنّ.

1-1. الظنّ بالله تعالى.

لاشكّ أنّ الظنّ الحَسَنَ محمود، وهو في حقّ الله تعالى مطلوب، بل ومأمور به، وأنّ الظنّ الفاسد مذموم، وهو في حقّ الله تعالى إثم كبير يورد صاحبه مورد الهلاك والخسران، يقول الله تعالى: ((وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)) [الفتح:6]

<sup>1</sup> — أبو حامد الغزالي، المهذب من إحياء علوم الدين، إعداد: صالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، (ط1، 1413هـ/1993م)، 87/2.

<sup>2</sup> — أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1، 1422هـ) 202/5.

<sup>3</sup> - ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تم التحقيق بمركز الدراسات والبحوث، (دط، 391/2، دت).

وليس هناك أسوأ من أن تشكك وتظن بالله ظن السوء؛ في متعلقات الألوهية والربوبية والأسماء والصفات التي يتفرد بها سبحانه.

ويقول الله تعالى: ((وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)) [فصلت: 22 - 23]. ومعنى هذه الآية " أن جوارحهم تقول لهم يوم القيامة على سبيل التبكيت أنتم أيها الكافرون لم تكونوا تخفون أعمالكم السيئة خوفاً من أن نشهد عليكم، ولكنكم كنتم تخفونها لاعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم ما تخفونه من أعمالكم، ولكنه يعلم ما تظهرونه منها. وما حملكم على هذا الاعتقاد الباطل إلا جهلكم بصفات الله تعالى، وكفركم باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء واستبعادكم أننا سنشهد عليكم"<sup>1</sup>.

وهذا هو الظن الفاسد بالله تعالى، عندما يتعلق بالاعتقاد في صفاته تعالى، وفي أسمائه، وفي إنكار اليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء، وتكذيب آيات الله التي تخبر عن شهادة الجوارح على أصحابها يوم الحساب.

وهذا الضلال والجهل في معرفة توحيد الأسماء والصفات، هو السبب في تولد الظنون السيئة الباعثة على الوقوع في الشرك ومن ثم الوقوع في كل سلوك منحرف<sup>2</sup>. ولهذا كان هذا التقريع بالظانين بالله ظن السوء؛ الذي جاء من ظنوتهم الخاطئة الفاسدة به سبحانه، وبالجملة هي ظنون فاسدة تفسد العقيدة، التي لا يمكن أن تكون عقيدة حقًا، إلا إذا كان أساسها العلم الجازم اليقين.

قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في هذه الآية: " هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها، ويتكلمون على المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، ثم قرأ:

<sup>1</sup> - محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، (ط1، 1998م)، 343/12.

<sup>2</sup> - عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، (ط1، 1423هـ / 2003م)، 361 / 1.

: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)) [أفصلت: 23].<sup>1</sup>

وفي قوله رضي الله عنه إشارة إلى أنّ الاغترار بمغفرة الله وبرحمته وحلمه بعباده، هو من فساد ظنهم به تعالى؛ لأنّ حسن الظن يقتضي العمل بأوامره، والوقوف عند حدوده وتجنّب المعاصي.

يقول الله تعالى مخبراً عن جزاء أصحاب الظنون الفاسدة، بقوله: ((وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)) [الفتح: 6]؛ حيث أنهم بفساد ظنهم قد وقّعوا على سوء عاقبتهم ومصيرهم، في الدنيا والآخرة.

ومن الظنون الفاسدة بالله تعالى، أن يُظن أن الله لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، وأنّ أهل الباطل ستكون لهم الدائرة على أهل الحق<sup>2</sup>، وهذا كله كفر بالآيات التي وعد فيها الله بنصر المؤمنين؛ حيث قال الله تعالى: ((وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)) [الروم: 47]، ووعد بالتمكين لهذا الدين، فقال: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ)) [النور: 55].

ومن الظنّ الفاسد أيضاً في حق الله عزّ وجلّ، أن يُظنّ العبد أن الله ليس حسيبه في كلّ أموره، وأنه لا يعطف عليه ولا يرحمه ولا يغفر له ولا يعافيه<sup>3</sup>، وهو الذي يقول: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)) [المائدة: 9]، لدفع ما فسد من الظنون، والإقبال عليه عز وجل بقلوب سليمة مؤمنة بما جاءها من الحق.

<sup>1</sup> — أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط2، 1384هـ / 1964م)، 15 / 353.

<sup>2</sup> . عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1، 1420هـ / 2000م)، ص: 791.

<sup>3</sup> — زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، (ط3، 1408هـ / 1988م)، 1 / 199.

وفي الحديث القدسي: { أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي }<sup>1</sup>؛ أي قادر على أن أعمل به ما ظنّ أنّي عامل به؛ ظنّ الإجابة عند الدعاء، وظنّ القبول عند التوبة، وظنّ المغفرة عند الاستغفار، وظنّ المجازاة عند فعل العبادة، ولذلك على المرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأنّ الله يقبله ويغفر له، ... وأمّا ظنّ المغفرة مع الإصرار على المعصية فذلك محض الجهل والغرور، وكله من سوء الظنّ بالله تعالى<sup>2</sup>.

ومجمل القول: إنّ موضوع الظنّ الفاسد بالله تعالى، يبحث مسألة دقيقة في موضوع التوحيد، وهي وجوب الاعتقاد الجازم في كل متعلقات الألوهية والربوبية والأسماء والصفات التي يتفرّد بها الله عزّ وجلّ، هذا الاعتقاد منوط بالقلب السليم، الذي سلم من الظنون والشكوك، خاصة وأنّ الإنسان يولد على الفطرة والطبع السوي، الذي يقرّ بوحداية الله وألوهيته وبكل الصفات والأسماء التي سمّى بها الله عزّ وجلّ نفسه، فكل من ظنّ بالله تعالى خلاف ما وصف به نفسه، فقد وقع في الظنّ الفاسد.

ثمّ يقدم القرآن الكريم نماذج وقعت في الظنّ الفاسد بالله تعالى، وملاها الوهم والاستعلاء، منها قارون الذي عزا ما به من نعماء لعلمه ولنفسه، حين قال: ((قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي)) [القصص: 78]، فكان جزاؤه: ((فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ)) [القصص: 81]، فلم يكفه علمه وغروره واستعلاؤه العذاب الذي أوقعه الله به.

والتمودج الآخر عن فساد الظنّ، صاحب الجنّتين؛ الذي رأى النعم ولم يقدر فضل المنعم، ((وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36)) [الكهف: 35-36] فجاءه الردّ الرباني ليدرك قدرة المنعم وفضله: ((وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا)) [الكهف: 42].

<sup>1</sup> — أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحثّ على ذكر الله تعالى، ص: 1234، برقم (2675).

<sup>2</sup> — أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق وتعليق: عبد القادر شيبه الحمد، (ط1، 1421هـ/ 2001م)، 13/ 397.

والحقيقة التي لا يمكن لها أن تتخلف، أن الظنّ لا يغني من الحق، خاصة إذا تعلق بأمر العقيدة، يقول الله تعالى: ((وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا)) [يونس:36].

## 1-2. الظنّ بالمسلمين.

إنّ المستقرئ لأحوال الناس في تعاملاتهم، يلمس تخوفا وتوجسا بين مختلف الأطراف، بسبب ظنون فاسدة ببواطن لا يعلم حقيقتها إلا خالقها.

ولمّا كان فساد الظنّ من الطبائع التي قد يتلبس بها من ينتسبون للإسلام، جاء القرآن ليوجّه هذه النفوس، وذلك في قوله تعالى: ((يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)) [الحجرات:12]، وفي السنّة: {يَاكُمُ والظنّ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث} <sup>1</sup>.

ففي الآية نبي قاطع، وأمر باجتنب كثير من الظنّ؛ والظن هنا أنّ تظنّ بأهل الخير سوءًا، وأنت تعلم أنّ الذي ظهر منه خير <sup>2</sup>.

وهو أيضا التهمة، ومحل التحذير والنهي إنّما هو تهمة لا سبب لها يوجبها، كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلا ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك <sup>3</sup>.

ولتجنب هذه التهم، يرشد صاحب "الجامع لأحكام القرآن" إلى الظنون الواجب اجتنابها بقوله: "والذي يميّز الظنون التي يجب اجتنابها عمّا سواها، أنّ كلّ ما لم تُعرف له أمانة صحيحة وسبب ظاهر كان حرامًا واجب الاجتناب" <sup>4</sup>.

وقوله صلى الله عليه وسلم: {يَاكُمُ والظنّ} أراد به الظنّ الفاسد وتحقيقه، لأنه سبحانه وتعالى قال: ((إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)) وليس كله إثمًا، وعن سفيان الثوري أنه قال:

<sup>1</sup> -خرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظنّ والتجسس والتناجش ونحوها، ص: 1193، برقم(2563).

<sup>2</sup> - إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، (ط2، 1408هـ / 1988م)، 5/ 3736.

<sup>3</sup> - أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط2، 1384هـ / 1964م)، 16/ 331.

<sup>4</sup> . المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الظنّ ظنّان: ظنّ إثم، وظنّ ليس بإثم، فأما الذي هو إثم فالذي يظنّ ظنّاً ويتكلّم به، والذي ليس بإثم فهو الذي يظنّ ولا يتكلّم به<sup>1</sup>.

فامتلاء النفوس بشتى الظنون والوساوس مما يتغلب على النفس، ولا يمكن كفهها عنها، إلا بنهها عن التكلم والإفصاح عن هذه الظنون التي تؤدي حتماً إلى أضرار ومفاسد تضر بالعلاقات الأخوية الاجتماعية.

كما أنّ الحديث نهي عن الظنون الفاسدة وعن تصديقها، دون ما يهيجس في النفس لأنّ ذلك لا يملك، أما المحرم من الظنّ ما يستمرّ صاحبه عليه ويستقرّ في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقرّ<sup>2</sup>.

وروي عن عمر رضي الله عنه قال: { لا يجلّ لمُسلمٍ يسمَعُ مِنْ أَخِيهِ كَلِمَةً أَنْ يَظُنَّ بِهَا سَوْءًا وَهُوَ يَجِدُ لَهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ مَصْدَرًا }<sup>3</sup>.

ومن هنا يمكن القول: إنّ الأصل في علاقة المسلم بأخيه أن تكون مبنية على حسن الظنّ في الأمور كلها، لأنّ ذلك يُعد من وسائل التحصين الداخلي للأمة، وهو بريد العلاقات الطيبة التي تحفظ على المجتمع وحدته.

وعند استنطاق المعاني العميقة للنصوص الشرعية، نجد أنّ الظنّ الفاسد خلّة من الخلال التي قد لا يسلم منها أحد، حتى من المؤمنين، ولكن عِلْم الله تعالى بحقائق النفوس وبضعفها، جعله يرفع الحرج عن عباده ويخفّف عنهم؛ حين نهي عن اتباع هذه الظنون والعمل وفقها؛ لأنّ اتباعها والاستسلام لها من شأنه أن يؤدي إلى شحن النفوس وامتلائها بالأحقاد التي لا تنتهي تداعياتها؛ من غيبة وتجسّس وغيرها ممّا أوضحته الآيات الكريمة.

<sup>1</sup> - الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، (ط2، 1403هـ/1983م)، 110/13.

<sup>2</sup> - النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، (ط1، 1349هـ / 1930م)، 16/119.

<sup>3</sup> - أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال، شرح صحيح البخاري، ضبطه وعلّق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، (دط، دت)، 260/9.



## 2. خطورة الظن.

لا شك أنّ الظنّ الفاسد في الله تعالى يشكل خطراً واضحاً على عقيدة المسلم، وقد يؤدي به إلى الكفر من حيث لا يدري، كما أنّ أتباعه والانسحاق خلفه، قد يعصف بالعلاقات الاجتماعية، بسبب ما يجره من شحناء وبغضاء.

وهنا أقف على الخطر الذي ينجر عن اتباع الظنون الفاسدة.

### 2-1. الشرك والكفر.

يقول ابن عاشور: " واعلم أنّ أسباب الضلال في العقائد كلها إنما تأتي على الناس من فساد التأمّل وسرعة الإيقان وعدم التمييز بين الدلائل الصائبة والدلائل المشابهة، وكلّ ذلك يفضي إلى الوهم المعبر عنه بالظنّ السيء أو الباطل. وقد ذكر الله مثله في المنافقين وأنّ ظنهم هو ظنّ أهل الجاهلية، فقال: ((يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)) [آل عمران:154]، فليحذر المؤمنون من الوقوع في مثل هذه الأوهام فيبوءوا ببعض ما نعي على عبدة الأصنام"<sup>1</sup>.

إنّ العبد متى داخله الظن في صفة من صفاته سبحانه، أو في اسم من أسمائه، وكلّ متعلقات الألوهية والربوبية التي أمر أن يؤمن بها ويسلم بها، فقد أساء الظن في خالقه، وهذا ما يفسد دينه، لأنّ حسن الظن في الله من مقتضيات هذا الدين، وفساده تنكّر وانحراف، فيكون ذلك مدعاة للكفر والشرك، والوقوع في سوء الأخلاق؛ كالجبين والبخل والحرص وغيرها.

قال ابن عباس رضي الله عنه: { الجبن، والبخل، والحرص، غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظنّ بالله عزّ وجلّ }<sup>2</sup>، وليس فساد الظن إلا من سوء التقدير والتعظيم للمولى عزّ وجلّ.

<sup>1</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (1984م)، 273 / 24.

<sup>2</sup> - عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط3، 1419هـ/ 1999م)، 1 / 77.

يقول الله تعالى: ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)) [الزمر:67]؛ أي جعلوا له شريكا، أو صفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة، وما عرفوه حق معرفته، حيث لم يؤمنوا بقدرة الله تعالى. قال ابن عباس: فمن آمن إنَّ الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره<sup>1</sup>. ومن هنا يمكن القول، إنَّ خطورة فساد الظنون بالله تعالى تكمن في الكفر والشرك به سبحانه تعالى، الذي ينشأ من عدم تقديره حق قدره، وهذا بلا ريب سبب الهلاك والخسران، لقوله تعالى: ((وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)) [الفتح: 6].

## 2-2. سوء الأخلاق.

نبه القرآن الكريم إلى مختلف السلوكات التي تنجر عن الظن، ونهى عنها نهيا قاطعا، فقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)) [الحجرات:12]. هذه الآية خطاب للمؤمنين باجتنب كثير من الظنون، حتى لا يقعوا في الإثم المحرم منها، ولا جرم أنها الظنون الفاسدة، التي تستدرجهم إلى مزالق أخرى كالنجس والغيبة، ولهذا كان النبي عن اتباع الظن بداية، ليقطع الطريق أمام هذه السلوكات الذميمة، التي تشكل خطرا محققا بالفرد والمجتمع.

جاء في تفسير الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تقربوا كثيرا من الظن، ولم يقل الظن كله، إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير فقالت: ((لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ)) [النور:12]، فأذن الله جل ثناؤه للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه، وإن لم يكونوا من قبيله فيهم على يقين"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> — أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، (دط، 1419هـ)، 5/100.

<sup>2</sup> — ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط1، 1420هـ/ 2000 م)، 22/303.304.

كما أنّ توجيه الخطاب بلفظ الإيمان دلالة على أنّ الاشتراك فيه يقتضي أن لا يظن بالمسلمين إلا خيراً، وفيه تنبيه على أنّ حق المؤمن إذا سمع أو بلغته مقالة في أخيه أن يبني الأمر فيها على حسن الظن، كأنه مستيقن أو مطلع على حقيقة أحواله التي لا يظهر منها إلا الخير<sup>1</sup>.

وفي هذا النهي الواضح تنبيه على الذنوب والمعاصي التي تنجرّ عن الظنون الفاسدة بين الناس، وبين المسلمين على وجه الخصوص، وهي الذنوب التي ذكرها الله صريحة ونهى عنها نهياً، في قوله تعالى: ((وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا)) [الحجرات:12]؛ فالتجسس والغيبة سلوكات قاتلة للعلاقات الاجتماعية، قاطعة للوشائج التي تربط المجتمع المسلم.

فالتجسس أن تسعى للاطلاع على ما خفي، وتطلبه لاستعماله في الشر. والغيبة أن تذكر أحدهم بشيء يكره أن يُذكر به، وهو المعنى المستفاد من حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: { أ تَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ } قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل أ فرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهته<sup>2</sup>.

وفي حديث آخر يحذر النبي صلى الله عليه وسلم من الظن، وينهى عن تبعاته بقوله:

{ إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَبَادَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا<sup>3</sup>؛ هذه المنهيات التي جاءت بعد التحذير من الظنون، هي بلا شك من تبعات الظنون الفاسدة، وهي تشكل خطراً على الروابط الأخوية بين المؤمنين، التي تعدّ اللبنة الأولى في بناء المجتمع المسلم.

<sup>1</sup> - فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط3، 1420هـ)، 341/23. محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1، 1418هـ)، 337/7.

<sup>2</sup> - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، ص: 1202، برقم (2589).

<sup>3</sup> - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، ص: 1192، 1193، برقم (2365).

قال بعض العلماء: التحسّس بالحاء الاستماع لحديث القوم، وبالجميم البحث عن عوراتهم، والتفتيش في بواطن أمورهم، وقيل بالجميم أن تطلبه لغيرك، وبالحاء أن تطلبه لنفسك، وقيل هما بمعنى واحد وهو طلب الأخبار الغائبة المستورة<sup>1</sup>، والعطف هنا يفيد المغايرة في المعنى، إلا أنها تتفق في كونها من المفاسد التي يفضي إليها سوء الظن، وتخصيص كلّ منها بالنهي أمانة على خطورتها، وعلى قوة تأثيرها في فساد الأخوة الإيمانية. ومن المفاسد أيضا التنافس، وهو الرغبة في الشيء والانفراد به، والتباري في الظفر بأسباب الدنيا وحفظها على حساب الآخرين<sup>2</sup>، والنهي عن الحسد وهو تمنى زوال النعمة عن أخيك، والنهي عن البغضاء والكراهية، والنهي عن التدابر، وكلها من المفاسد والمعاصي التي تتسلل إلى النفس من باب الظن الفاسد.

ولهذا نجد القرآن الكريم يركز على قضية الأخوة بين المؤمنين، فقال الله تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) [الحجرات:10]، ويحرص على تثبيت الدعائم والركائز التي يرفع عليها أخوة الإيمان بشئى السبّل.

وخلاصة القول: إنّ منشأ الأحقاد والضغائن التي تسربت بين الأفراد، إنما هو بسبب الظنون الفاسدة التي زُيّنت في النفوس حتى عميت، فجهلت وأخذتها العزة بالإثم فانقادت في اتجاه التجسس والغيبة والبغضاء والتنافس، انتصارا لتلك الظنون التي انقادت لها النفوس وراحت تعمل وفقها.

### 3. الأسباب الباعثة على الظنون الفاسدة.

الظن الفاسد من أعظم المفاسد التي حدّرتنا ديننا الحنيف، وحدّرتنا من تداعياتها، فنّبّه لأبرز أسبابه ودوافعه، للحدّ من عواقبه، وهي:

#### 1-3. اتباع الهوى.

والمراد بالهوى هنا هوى النفس؛ وهوى النفس: إرادتها.

<sup>1</sup> — النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظنّ والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، المطبعة المصرية بالأزهر، (ط 1، 1349هـ/1930م)، 119/16.

<sup>2</sup> — النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظنّ والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، 119/16.

والهوى محبة الإنسان الشيء وَعَلَبْتُهُ عَلَى قَلْبِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ((وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ)) [النازعات:40]؛ بمعنى نهأها عن شهواتها، وعن كل ما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل.

جاء في تفسير التحرير والتنوير، أنّ الهوى شهوة ومحبة لما يلائم غرض صاحبه، وإنما يجري الهوى على شهوة دواعي النفوس غير التي تقتضيها الجبلة من طعام وشراب.. وقد يكون الهوى شهوة ما تقتضيه الجبلة، لكن يشتهى على كيفية وحالة لا تقتضيها هذه الجبلة. وهنا يراد بها الهوى المذموم<sup>1</sup>.

لذا لم يذكر الهوى إلا مذموماً، لأنه يبعث على فساد الظن، وينحرف بمتبعه عن الطريق المستقيم، فيقع في المعاصي؛ بسبب ما تمليه عليه أهواؤه.

يقول ابن تيمية: أضلّ الضلال اتباع الظنّ والهوى، كما قال تعالى في حقّ من ذمهم: ((إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ)) [النجم:23]، وقال في حقّ نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ((وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)) [النجم:1-4]، فنزّهه عن الضلال والغواية، لأنّ الضال هو الذي لا يعلم الحقّ، والغاوي هو الذي يتبع أهواءه<sup>2</sup>.

لقد خلق الله البشر بميل فطري إلى عبادته وحده، والاستسلام لأوامره ونواهيه اضطراراً واختياراً، لكن هناك من غلبت أهواؤه المضلة وشهواته، فصدته عن اتباع الطريق الصحيح.

### 2-3. الاستجابة لغواية الشيطان وتزيينه.

إنّ عداوة الشيطان للإنسان قديمة قدم البشرية، ناشئة من استكباره وحسده الإنسان الذي أمر بالسجود له، فأبى وعصى، وظهرت عداوته لهذا الإنسان في تزيين الشرّ له؛ فقال تعالى حكاية عن إبليس: ((قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ

<sup>1</sup> . ابن عاشور، التحرير والتنوير، 92 / 18

<sup>2</sup> — أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبع بأمر من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، (دط، 1425هـ / 2004م)، 384/3.

أَجْمَعِينَ)) [الحجر:39]، و((قَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي)) [إبراهيم:22].

فجاءت الآيات القرآنية لبيان خطر هذا العدو وسبل إضلاله وإفساده، حتى يحذره الناس ويكونوا في مأمن من مكره وشره، وقطع العهد الذي قطعه على نفسه كما حكاه، فهذه الغواية هي سبيله إلى تزيين المعاصي، واستصغار الذنوب إلى حدٍ استسهالها وتهوين حكمها.

إنّ الشيطان يغري الإنسان بالمعصية ويزينها له، ويخفي عنه عواقبها، ويحسنها في نظره أو يهونها عليه، حتى إذا وقع فيها تخلى عنه، وتركه للندم والحسرة؛ يقول الله تعالى: ((كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)) [الحشر:16].

عن عبد الله بن مسعود أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: { مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينَهُ مِنَ الْجِنِّ }، قالوا: وإياك يا رسول الله. قال: { وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ }<sup>1</sup>.

و جدير بالذكر هنا، أنّ الأطراف التي تتولى تزيين المعاصي، ليست الشياطين فحسب، ولكن هناك قرناء السوء من البشر، تولوا نشر الفساد وتسهيله، ناهيك عن القرين الأقرب إلى كل واحد منّا، وهو النفس إذا كانت أمارة بالسوء والعياذ بالله.

يقول الله تعالى: ((وَ قَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)) [فصلت:25]؛ فالله تعالى إذا أراد بعبد خيراً قيّض له قرناء يعينونه على الطاعات، وإنّ اختار سبيل الضلال كان له من القرناء ما يدفعونه على المعصية والضلال، ومن ذلك شياطين الإنس والجنّ على حدٍ سواء، يسلطون على الإنسان ويوسوسون له ويدعونه للإفساد، وشرُّ منهم النفس، فإنها بئس القرين. فهي اليوم تدعو العبد إلى ما فيه هلاكه، ثمّ تشهد عليه غدا بما اجترح.

<sup>1</sup> - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، ص: 1132، برقم (2814).

### 3-3. الجهل والاعتزاز بالأمني.

يقول الله عزّ وجلّ في محكم آياته: ((وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)) [البقرة:78]، في هذه الآية جاء لفظ يظنون تابعا للفظ الأمني من باب توجيه هذه الأمني في اتجاه الظنون الفاسدة، التي لا تقوم على قرينة بيّنة قاطعة.

أما عن معنى لفظ "أمني" فقد ذهب المفسرون في تفسيره عدة تفسيرات<sup>1</sup>. الأول: أنّ الأمنية جمع أمنيّ، و معناها التلاوة، كما في قوله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَمَّتْ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ)) [الحج:52]؛ أي أنهم لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم.

الثاني: أنّ أمانهم أن يعفو الله عنهم ولا يؤاخذهم بذنوبهم، وأنهم ينظرون لشفاعة آبائهم الأنبياء وأخبارهم.

الثالث: الأمني أيضا الأكاذيب التي كانوا يسمعونها من علمائهم.

الرابع: تمنيات القلب، كما هو في قوله تعالى: ((وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ)) [البقرة:111].

الملاحظ في هذه المعاني، أنّها تلتقي جميعها عند معنى الجهل، وعدم الاستهداء بما جاء في تعاليم هذا الدين، لأن ابتغاء الخلاص لا يكون إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة، وطلب الحقيقة والاستعصام بهما من الوقوع في الظنون الفاسدة.

فالاستمرار في ظنون الجاهلية، هي من الظنّ الفاسد الذي لا يليق في حق الله تعالى، بعد أنّ تجلّت ألوهيته وربوبيته وصفاته سبحانه في الكون، لكل ذي قلب سليم.

يقول ابن تيمية: "وأما غلط النَّاس فلعدم التمييز بين ما يعقل من النصوص والآثار، أو يعقل بمجرد القياس والاعتبار، ثم إذا خالط الظنّ الغلط في العلم هوى النفوس ومنها في العمل، صار لصاحبها نصيب من قوله تعالى: ((إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ

<sup>1</sup> أبو زكريا يحيى بن زياد بن منظور الديلمي الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخران، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (ط1، دت)، 1 / 50. أبوحيان الأندلسي، البحر المحيط، 1 / 444.444.

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى)) [النجم:23]، وهذا ما خلق الإنسان عليه من الجهل في نوع العلم، والظلم في نوع العمل، فجهله يتبع الظن، وبظلمه يتبع ما تهوى الأنفس<sup>1</sup>.  
و يحكي القرآن الكريم ما كان من شأن الأمم الغابرة، وكيف كانت ظنونهم واعتقاداتهم الفاسدة سببا في هلاكهم وخسارتهم، قال الله تعالى في حقهم: ((وَدَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) [فصلت:23].

#### 4. اجتناب الظن الفاسد.

الحقيقة التي لا مناص ولا فكاك منها، أن الظنون وأحاديث النفس ممّا لا خلاص للإنسان منها؛ إذ هي ممّا يختص بالقلوب التي لا سلطان عليها إلا سلطان الله عزّ وجلّ، فلما كان للنفس إقبال وإدبار، وظنون منها الحسن ومنها الفاسد، كان من الكرم الإلهي أن خفف على عباده فيها ليقمهم تبعاتها، فأرشدهم إلى هدايات ربانية تقيمهم من الزلل، والانبعاث وراء الظنون، التي ستعصف بعقيدتهم، وتمزق الروابط الأخوية بين الأفراد.  
تتمثّل هذه الهدايات الربّانية في:

#### 1-4. تجنّب الانسياق خلف الظنون.

وهذا علاج ووقاية إلهية لتجنب الظنون الفاسدة وتجنب آثارها؛ هذه الوصفة التي جاءت في الحديث الشريف الذي يرويه الصحابيّ أبو هريرة رضي الله عنه يقول: قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: { إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسَّوَسَتْ بِهِ صُدُورَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلِّمْ }<sup>2</sup>.

والوسوسة هي حديث النفس والأفكار، تقول وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواسًا بالكسر، إذا تكلم بكلام لم يبينه، وعليه يكون معنى الوسوسة تردّد الشيء في

<sup>1</sup> - تقي الدين ابن تيمية، حقوق آل البيت، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط2)، 1407هـ / 1987م)، ص: 39، 40.

<sup>2</sup> . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، ولا عتاقة إلا لوجه الله تعالى، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: { لِكُلِّ أُمَّرٍ مَا نَوَى } ولا نية للناسي والمخطئ، 215/2، برقم (2528)، طرفاه 5269—6664. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، ص: 69، برقم (127).



النفس من غير أن يطمئن إليه ويستقر عنده، فلا تعمل جوارحه ولا ينطق لسانه بدافع منها<sup>1</sup>.

لقد أورد الإمام مسلم هذا الحديث في باب عنوانه: تجاوز الله عزّ وجلّ عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر؛ وفي هذا بيان للخواطر والظنون التي تجيش في القلوب، وأنّ الله تجاوز عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هذه الظنون فلا يؤاخذهم بها، بشرط ألا تستحوذ على قلوبهم وعلى جوارحهم، وتدفعهم إلى ارتكاب ما نهوا عنه، لأنها بذلك تكون قد تحولت من مجرد وساوس وخواطر باطنة إلى أفعال أئمة لا محالة.

ويؤيد هذا الحديث، ما رواه أيضاً أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ وَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ }<sup>2</sup>.

يقول الماوردي في تفسيره "النكت والعيون": أصلُ الهمّ حديث النفس حتى يظهر فيصير فعلاً، ولا حرج فيه إذا لم يقترن بأفعال<sup>3</sup>؛

فالهمّ هو خواطر وأحاديث النفس، وكلّ ما توسوس به الصدور، وكلها من عزائم وحبائل الشيطان وتسألطه، ومن هنا جاء التخفيف الإلهي ورفع الحرج عن هذه الأمة، شريطة ألا تركز إلى الوسواس فتتكلم وتعمل بها، فيطفح سوء الظن على الأقوال والفعال، وهذا ما جاءت الشريعة لمدافعته.

<sup>1</sup> - بدر الدين محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1)، 1421هـ/2001م)، 127/13.

<sup>2</sup> - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة كتبت وإن همّ بسينة لم تُكتب، ص: 70، 71، برقم (130).

<sup>3</sup> - أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، 24/3.

جاء عند الحافظ بن حجر: والمراد نفي الحرج عمّا يقع في النفس حتّى يقع العمل بالجوارح، أو القول باللسان على وفق ذلك...؛ لأن الوسوسة لا اعتبار لها عند عدم التوطن<sup>1</sup>.

فمتى استطاع الإنسان التحكّم في ظنونه، ولم يطلق لها العنان، أمكنه أن ينفلت منها ولم يتّبّعها، لأنه يدرك أنّ اتباعها يعني اتباع أهوائه التي يقودها الشيطان.

2-4. الاستمساك بالدّعاء والاستغفار.

لقد سبقت الإشارة إلى أنّ النهي عن اتباع الظنّ في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ)) [الحجرات:12]، هو نداء للمؤمنين على وجه الخصوص، وفي هذا التخصيص دلالة على أنّ اتباع الظنّ خلق لا يسلم منه المؤمن.

ولأنّ الظنون والخواطر من مداخل الشيطان إلى العبد، جعلها الله في العبد المؤمن لتقوى حاجته وروابطه بربه، ولأنّ الله يحب توجه عبده إليه، كما يحب إلحاحه في الدعاء، وكثرة الاستغفار.

ولعلّ الرّابطة التي تديم علاقة العبد المؤمن بربه كثرة الدعاء، والاستغفار والعود إليه في كلّ حين، وليس هنا دعاء الحاجة إلى حوائج الدنيا، وإنما هو الدعاء من أجل الاستعصام و التقويّ بالله من أجل التوجيه، والهداية إلى ما يعصم من الزلل، ومن اتباع مساوئ الهوى وغواية الشيطان.

أمّا حين الوقوع في الظن وتبعاته . وكثيرا ما تحيد النفس عن منهج الله . فالله تعالى يقول: ((وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)) [طه:82]، فيكون الرجوع إلى الطريق المستقيم، بالتوبة والدعاء وطلب المغفرة.

<sup>1</sup> - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تعليق: عبد الرحمن بن ناصر البراك، اعنتى به: أبو قتيبة نظر محمد الفارياي، دار طبية للنشر والتوزيع، (ط1، 1426هـ/2005م)،

خلصت الدراسة إلى هذه النتائج:

- إنّ النّهي عن الظنّ في آيات القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبوية، جاء بذكر لفظ الظنّ منفرداً، دون إضافته أو وصفه بالفساد، إلا أن النهي لا يكون إلا عما ثبت فساده، وإلا فإنّ الظنّ الحسن مطلوب، وفي هذا دلالة على أن الأصل في الظنون أن تكون خيراً، ومنه جازوسم الظنّ المنهني عنه بالفساد، لأنه خرج من دائرة الصلاح والاستقامة.
- وكثُر ورود لفظ الظنّ في القرآن الكريم مسبوقاً بلفظ الاتباع " اتباع الظنّ "؛ هذا المركّب الإضافي يترك انطباعاً حول هيمنة الظنون الفاسدة على نفس الإنسان، ومتى حدث ذلك وتمكّن، ظهرت آثاره السيئة في الأقوال والأفعال.
- يؤكّد ديننا الحنيف على اجتناب الظنّ، فجاء النهي عنه بداية، حتى لا تتبعه كثير من المفاسد؛ التي تشكل خطورة على العباد؛ سواء في الجانب العقدي، أو في جانب العلاقات التي تربط الأفراد.
- أما تجنب خطورة الظنون الفاسدة في حق الله تعالى وفي حق المسلمين، فيكون بتوطيئ النفس على الظنون الحسنة، وكبحها عن الانسياق خلف الظنون السيئة وتبعتها، حتى لا تقود إلى ما نهى الله عنه.
- أمّا إن حدث وتمكنت الظنون الفاسدة في قلب العبد تجاه الآخرين، فالسلامة من عواقبها تكون بجبسها داخل النفس، وكبح هذه الأخيرة عن التحدث بها أو السعي خلفها والعمل وفقها.
- استحضر قدرته تعالى وإحاطته بأمور الخلق كلهم، ثم الدعاء والتوبة حين الزلل في حقه تعالى، أو حق المسلمين.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شليبي، عالم الكتب، بيروت، (ط2، 1408هـ / 1988م).
3. ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط1، 1420هـ / 2000م).
4. ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (1984م).
5. أبو الحسن علي بن خلف ابن بطّال، شرح صحيح البخاري، ضبطه وعلّق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، (دط، دت).
6. أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دط، دت).
7. أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، (دط، 1419هـ).
8. أبو حامد الغزالي، المهذب من إحياء علوم الدين، إعداد: صالح أحمد الشّامي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، (ط1، 1413هـ / 1993م).
9. أبو زكريا يحيى بن زياد بن منظور الديلمي الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وأخران، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (ط1، دت).
10. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط2، 1384هـ / 1964م).
11. أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط3، 1420هـ).
12. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1، 422هـ).

13. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبع بأمر من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، (دط، 1425هـ / 2004م).
14. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق وتعليق: عبد القادر شيبه الحمد، (ط1، 1421هـ / 2001م).
15. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تعليق: عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط1، 1426هـ / 2005م).
16. بدر الدين محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1، 1421هـ / 2001م).
17. تقي الدين بن تيمية، حقوق آل البيت، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط2، 1407هـ / 1987م).
18. الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، (ط2، 1403هـ / 1983م).
19. زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العرفين المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، (ط3، 1408هـ / 1988م).
20. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1، 1420هـ / 2000م).
21. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (ط3، دت).
22. عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضدّ الأفكار الهدامة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، (ط1، 1423هـ / 2003م).
23. عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط3، 1419هـ / 1999م).
24. علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، (دط، 1985م).

25. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط3، 1420هـ).
26. محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1، 1418هـ).
27. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، (ط1، 1998م).
28. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ج م ع، مكتبة الشروق الدولية، (ط4، 1425هـ/2004م).
29. ناصر الدين أبو سعيد بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1، 1418هـ).
30. النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، (ط1 1349هـ / 1930م).